البنية المعرفيّة (الإبستيمولوجيّة) لدوالِّ العقل في القرآن الكريم ولسانيّات الأنثروبولوجيا العربيّة

ا.م. د. جواد كاظم التميمي

كلية الإمام الكاظم (عليه السلام)

البريد الإلكتروني:dr.jawadkadhim@alkadhum-col.edu.iq

كلمات مفتاحية: عقل، وقرآن كريم، ولسانيات، وأنثروبولوجيا، وبنية قيمية، وسببية.

مستخلص

تُعدُّ قضية (التفكير العلميّ) واحدة من الإشكاليّات الثقافيّة الأنثروبولوجيّة التي تُقسَّم على وفقها الأممُ، والشعوب، والجماعات. ويجري الأمر بقسوة معرفيّة (إبستيمولوجية) مفرطة عند تعلّقه بالتسقيط الفكريّ؛ المرافق البَدَهيّ لصراع الحضارات، ويعني ذلك أنّه تسقيط منطوٍ على موقف تصنيفيّ مسبَّق، بمرجعيّة إيديولوجيّة استعلائيّة.

تَعرّضَ (العقلُ العربي) إلى شيءٍ ليس باليسير من هذا النقد المعرفيّ الهادم، بدرجات متفاوتة، وفي أزمنة متعددة، وقد حدث ذلك –بسوء نية تارة، وبحسْنِها تارة أخرى– في حقبتي التاريخ العربيّ؛ الأولى السابقة للإسلام، والثانية المنبثقة عنه.

نحاول في هذه الدراسة الكشف عن جانب من حقيقة (العقل العربي)، بمنهج لسانيّ أنثروبولوجيّ، حياديّ، بعيد عن جلد الذات الحضاريّة من جهة، وعن نرجسيّتها التبشيريّة المؤدلَجة من جهة أخرى.

Abstract

The issue of scientific thinking represents one of the cultural and anthropological problems according to which nations, peoples, and groups are divided. This is done with excessive epistemological severity when it comes to intellectual projection that is the associated concomitant of the clash of civilizations. This means that it is a projection that involves a preconceived categorical position, with a superior ideological reference.

In the two periods of Arab history; The first preceded Islam, and the second emanating from it. The Arab mind has been exposed to something not easy from this destructive epistemological criticism, to varying degrees, and at various times, and this happened - sometimes with bad intentions, and at other times with good intentions -

In this study, we are trying to reveal an aspect of the reality of the Arab mind with a linguistic, anthropological, neutral approach, far from civilized self-punishment on the one hand, and its ideological missionary narcissism on the other.

أولاً: المقدمة

يرى بعض المفكرين العرب أنَّ العقل العربي عقلٌ قيميٌّ أخلاقي، وتأملي استنباطي، غير معنيٍّ بالكشف عن قوانين السببية في هذا العالم، وغير منتج للعلوم الطبيعية، المبنية على الاستقراء الناقص، والتجربة الحسية، المُفضية إلى تحسين وسائل الإنتاج، بخلاف العقل الغربي بتمظهريه؛ اليوناني القديم، والأوربي المعاصر، ولمّا كان القرآن الكريم قد نزل "بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ/ الشعراء ١٩٥"، فإنَّ أيّ تطابق متحقق بين حقلَي دوالّ العقل[١] في القرآن الكريم، ولسانيات الأنثروبولوجيا العربية[٢]، سيكون مدعاةً لدعم حقيقةِ تفرّد (البنية القيميّة)، والمنهج الاستنباطيّ، بالعقل العربيّ، في قبالة غيابٍ بَيِّنٍ للمنهج العلميّ التجريبيّ، كما أنّه سيفضي إلى تأكيد دعوة قرآنيّة، (مظنونة الوقوع)، للاستمرار على العمل ببنية التفكير المألوفة في الحياة العقليّة العربيّة السابقة لنزول الكتاب الكريم، ما يعني تشكّل موقف معرفيّ (إبستيمولوجيّ) تأصيليّ خطير، قد يترتب عليه –في حال ثباته أمام البحث–انسداد علميّ راسخ في الحياة العربيّة، مفضٍ إلى اكتفاء الشعوب العربيّة، في شؤون حياتها اليوميّة، باقتفاء أثر منتجات العقل الغربيّ، واستيعابها، والانتفاع بها، في مجالات العلوم الطبيعيّة، والإنسانيّة كافة.

تحاول هذه الدراسة تبيانَ حقيقة الأمر، في المنتج اللسانيّ الأنثروبولوجيّ العربيّ من جهة، وفي النصّ القرآنيّ المقدّس من جهة أخرى، بمنهج لسانيّ كاشف عن التناظر بين المنظومة الاصطلاحيّة لدوالّ العقل، والبنية المعرفيّة (الإبستيمولوجية) المنتجة لها[٣]. وتسلك في محاولة تحقيق هذا الهدف مسلكاً محدَّداً، يتلخص بأخذ شروح دلالات مصطلحات العقل، من كتاب مُخْتصٍّ بألفاظ القرآن الكريم حَصْراً، هو: (مفردات ألفاظ القرآن)، وتكمن مزيّة هذا المصدر في كونه متناً تخصصيًّا ضخماً، لمؤلف كان موجوداً في القرن الخامس الهجري، هو الراغب الأصفهانيّ (ت ٤٢٥ ه)، ولاختيارٍ كهذا قيمة علميّة، ذات أثر كبير في البحث، والتحليل، بحِساب أنّ حياة المؤلف في الربع الأول من ذلك القرن وفّرت له فرصة كبيرة لجعل كتابه أحد مصاديق مرحلة النضج العلميّ المتقدم في حقول الدراسات الدلاليّة العربيّة. وممّا له مغزًى معرفيّ مهمّ أنَّ الكتاب –كما يظهر من معالجاته النصّيّة– يأخذ بالحسبان النظرَ إلى الدلالة ببعديها؛ الأول: الثقافيّ الأنثروبولوجيّ الممثل لعقليّة (رجل الشارع) العربيّ، والثاني: الدينيّ العقائديّ المفضي إلى فهم دلالات النصّ القرآنيّ. ونستعين –لضرورة علميّة– بكتابين يعملان في خدمة مسار دراستنا المعرفيّ (الإبستيمولوجيّ)، وهما: التعريفات للشريف الجرجانيّ (ت ٨١٦ ه)، ولسان العرب لابن منظور (ت ٧١١ ه)، ويمثل الأول مرحلة اصطلاحية متقدمة، أما الثاني فهو متن معجميّ، يمكن عدّه أحد أشهر الموسوعات الاستيعابيّة الشاملة للدلالة العربيّة، فضلاً عن مزيّة التأخّر الزمنيّ. ولتحقيق الغرض من الدراسة لا مناص من البحث في المطالب الآتية:

١–الكشف الدلالي المزدوج عن إحالات دوالّ العقل في لسانيّات الأنثروبولوجيا العربيّة، وعن إحالاتها في القرآن الكريم، أثناء وقت التنزيل، بوصفه نصًّا سماويًّا منتظِماً بلسان عربيّ مبين.

٢-استلال البنية العقليّة البسيطة؛ (غير المركّبة)، من بين تعدد الدوالّ اللسانيّة، واستعمالاتها المتكاثرة، وبيان حالّي التطابق، والاختلاف في البنية المفهوميّة لدوالّ العقل بين القرآن الكريم، والمتداول اللسانيّ الأنثروبولوجيّ العربيّ.

٣-الإجابة عن السؤال المهمّ الآتي: هل اكتفى القرآن الكريم بدوالّ العقل العربيّة المعروفة في أوان نزوله، أم استحدث دوالاً أخرى، من اللغة العربيّة نفسها، ما يعني في حال حدوث ذلك، إمكان الكشف -نظريًّا في أقل تقدير-عن بنية معرفيّة دلاليّة أخرى، مفارقة، وغير مألوفة الاستعمال في المتداول اللسانيّ العربيّ، في زمان التنزيل.

ثانياً: العقل العربيّ و(فرضية وورف و سابير) الثقافيّة الأنثروبولوجيّة

تُعدُّ البنية العقليّة للشعوب، التي يمكن كشفها عن طريق دوالّ العقل اللسانيّة، واحدة من الإشكاليات المعرفية (الإبستيمولوجية)، الخطيرة التي تُصنَّف -على وفقها-الجماعات البشريّة تصنيفاً ثقافيًّا أنثروبولوجيًّا، كما ترى فرضيّة وورف وسابير، التي تقول "إنّ العالم الحقيقيّ قائم إلى حد بعيد وبصورة لاشعوريّة على العادات اللغويّة لدى الجماعة"[٤]، فبحسب هذه الرؤية المعرفيّة تستحيل اللغة آلة مُجسِّدة لـــ(روح الشعب) الذي يتكلمها[٥]، وتكون بنيتُها مُحدِّداً عميقاً لبنيةِ طريقةِ مَن يتكلمها في التفكير[٦]، وهذا بعينه ما تكرَّسَ موقفاً معرفيًّا جليًّا على مستوى الدرس اللسانيّ الغربيّ المبكِّر في أعمال الفيلسوفين الألمانيّين؛ جوتفريد هيردر (ت ١٨٠٣ م)، وفريدريك همبولدت (ت ١٨٣٥ م)[٧].

ويُعَدُّ ظهور الأنثروبولوجيا "في النصف الثاني من القرن الثامن عشر إشارةً أخرى لما هو موضع نقاش هنا؛ فجزء مما أدَّى إلى نشأة الأنثروبولوجيا هو الوعي بأن اللغة الطبيعية لشعبٍ ليست مجرد وسيلةٍ لقولِ الأشياء نفسها التي يمكن قولها بلغة أخرى، فلغة الشعب هي أيضاً نتاج مواجهاته الخاصة مع العالم"[٨]، ويترتب -على وفق هذه الرؤية التصنيفيّة، ذات النزعة الاستعلائيّة الثقافيّة الصريحة، والنزعة العرقيّة المبطنة الضمنيّة-النظرُ إلى أممٍ بعينها على أنَّها أممٌ مُفكِّرة، ومتقدمةٌ، وقادرةٌ على إنتاج المعرفة، وأممٍ أخرى على أنَّها أممٌ غيرُ قادرةٍ على ممارسة التفكير العلميّ الاستقرائيّ، وعاجزةٌ عن التعامل بالتجربة الحسيّة المختبريّة[٩]، لعلّةٍ تتعلق بتكوينها العقليّ الحيويّ (البايلوجيّ)، وبنيتها المعرفيّة (الإبستيمولوجيّة)، المتحدِّرة عن الحتميّة اللغويّة الضاغطة، المستندة إلى (دوالّ لسانيّة) متحكمة في حياة الناس العقليّة، والشعب العربي، واحدٌ من بين تلك المجموعات البشرية الخاضعة لهذا النوع من النقد المعرفي (الإبستيمولوجي).

ولمّا كان القرآن الكريم قد نزل على الشعب العربيّ أولاً، فإنّ ما استعمله من دوالّ عقلية لسانيّة عربيّة يمكن أن يُعدّ (حزمةً علاميّة سيميائية) مهمّة، ماثلة للتحليل اللسانيّ الكاشف عن تلك الإشكاليّة

الخطيرة، بما تمثّله (الحزمة) من (حقيقة استعماليّة) شاخصة، وشاهدة على تصنيف عقل (الشعب المخاطَب)؛ العربيّ، من حيث التكوين الأخلاقيّ القيميّ، أو التكوين العلميّ التجريبيّ.

ثالثاً: إشكالية دوالّ العقل بين المتداول اللسانيّ العربيّ والغربيّ

ذهب المفكر الراحل الدكتور محمد عابد الجابريّ[١٠] –بالبناء الضمنيّ على فرضيّة وورف وسابير –إلى إجراء موازنة معرفيّة لسانيّة أنثروبولوجيّة خطيرة، ذات بعد تأسيسيّ مهمّ، بين ماهيّة العقل العربيّ، والعقل الغربيّ؛ قال الجابري: "إذا كان مفهومُ العقل في الثقافة اليونانيّة، والثقافة الأوربيّة الحديثة، والمعاصرة يرتبط بـــ(إدراك الأسباب) أي بالمعرفة...فإن معنى (العقل) في اللغة العربيّة، وبالتالي في الفكر العربيّ يرتبط أساساً بالسلوك والأخلاق. نجدُ هذا واضحاً في مختلف الدلالات التي يعطيها القاموس العربيّ لمادة (ع، ق، ل)، حيث يكاد يكون الارتباط بين تلك الدلالات وبين السلوك الأخلاقيّ عامًّا ضروريًّا"[١١]، وجاءت (الضرورة) في النصّ بالمعنى الفلسفيّ كما هو بيِّن، ما يعني أنَّ الدكتور الجابريّ يجرّد موقفاً قاطعاً، وصريحاً، وحاسماً مؤيِّداً لأثر الحتميّة اللسانيّة في صياغة الوعي العربيّ بالأشياء، وأنَّه يذهب –بالموازنة بين العقلين– إلى أنَّ العقل الغربيّ عقل علميّ، منشغل بالمنهج الاستقرائيّ، والتجربة الحسيّة، بقصد الكشف عن الأسباب المُفضية إلى حدوث الأشياء في العالم[١٢]. وينقل الدكتور الجابري عن اللغات الغربيّة، لاسيما ذات الأصل اللاتينيّ أنّها تعبّر عن العقل بكلمة (raison) التي تعني بالفرنسيّة: العقل، والسبب، فتارة تدلُّ على مَلَكة للكائن العاقل، وتدلُّ تارة أخرى على علاقة بعض الأشياء ببعضها الآخر، بحيث يمكن القول بأنَّ عقل الإنسان، أو (العقل الذاتي) يتتبع، ويدرك عقل الأشياء، أو (العقل الموضوعي)[١٣].

وتستعمل اللغة الإنكليزية في هذا الشأن لفظة (reason)، ومن دلالاتها؛ المبرِّر، والسبب، والعقل، والإدراك[١٤]، ما يعني اتحادها بالحقل اللسانيّ الدلاليّ الفرنسيّ، في تشكيل ماهيّة العقل الغربيّ، وقد يكون في هذا الاستشهاد ما يُعدُّ دعماً لسانيًّا متماسكاً لموقف الدكتور الجابريّ.

وخلاصة هذه الموازنة اللسانيّة ذات التأصيل المعرفيّ هي القول بأنَّ العقل العربيّ عقلٌ أخلاقيٌّ، وعظيٌّ، قيميّ، تأمليّ، وليس عقلاً سببيًّا علميًّا، تجريبيًّا، فهو غير مهتمّ كثيراً بدراسة ظواهر العالم الماديّة، وغير معنيٍّ بالمنهج الاستقرائيّ، والتجربة الحسيّة التي يتوصل بها الإنسان إلى التمكّن من العلوم الطبيعيّة، فلا شأن للعقل العربيّ بالكشف عن الأسباب، والقوانين المحركة للظواهر الفيزيائيّة، والكيميائيّة، والحيويّة (البايلوجيّة)، كدرجة غليان الماء، أو قانون الجاذبيّة، أو دورة المياه في الطبيعة، أو التركيب الضوئيّ في النبات، أو كيفيّة تصنيع المحرك المشتغل بحرق الوقود الأحفوريّ، وغير ذلك من حقول العلوم التجريبيّة، فهذه النشاطات العلميّة غائبة عن ساحة حضور أولويات العقل العربيّ، ما يعني أنّ العلماء العرب، أو المستعربين الذين برزوا في أزمنة لاحقة لظهور الإسلام، في حقول العلوم

الطبيعيّة المختلفة، كجابر بنِ حيان الكوفيّ في الكيمياء، والحسن بن الهيثم في الفيزياء، وأبي القاسم الزهراويّ في الطب هم الاستثناء الذي يدعم وجودَ القاعدة[١٥]، كما أنَّ أولئك العلماء قلةٌ ضئيلة لا تمثل إلا نفسها، وحالاتٌ علميّة عابرة، إذا ما أخذنا بالحسبان العمرَ المديد لنشاط الحضارة العربيّة الإسلاميّة، وأعدادَها البشرية الهائلة. ومما له مغزى غياب تحوّل أولئك العلماء إلى مدارس في اختصاصاتهم، فليست حالهم كحال نظرائهم الغربيّين من أمثال إسحاق نيوتن الإنكليزيّ في الفيزياء، وإنطوان لافوازيه الفرنسيّ في الكيمياء، وغريغور مندل النمساويّ في علم الوراثة، وهذا التحليل جارٍ بحسب رؤية الدكتور الجابريّ، المستندة إلى (فرضيّة وورف و سابير)، الحتميّة اللسانيّة.

فما مدى صحةِ هذا الكشف المعرفيّ؟ وما قوة انطباقِه على استعمال القرآن الكريم لدوال العقل في اللسان العربيّ؟ وهل ينطبق استعمالُه لها انطباقاً تامًّا مع حقيقةِ العقلِ اللسانيةِ الأنثروبولوجية في المتداول اليوميّ للحياة العربيّة؟

رابعاً: دوالّ العقل في العربية وفي القرآن الكريم

دوال العقل في العربيّة –على حدِّ الاجتهاد في حصرها–هي: (العقل، والقلب، والفؤاد، والحِجْر، والنُّهى، واللُّب، والبصيرة، والفِقه، والفِكر، والنَّظر، والحِجا، والذِّهْن)، وقد استعملها القرآن الكريم كلَّها، إلَّا دالتي (الحِجا)، و(الذِّهْن)، فلا وجود لهما في القرآن الكريم.

ويحتم البتُّ في شأن الموقف الدلاليّ، ذي المنحى البنيويّ، من دوالّ العقل العربيّة التنقيبَ المعجميّ عن إحالاتها الاستعماليّة، وعلى النحو الآتي:

الدالة الأولى: العقل

العقل–بنصِّ الراغب الأصفهاني–القوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل، وأصل العقل: الإمساك، والاستمساك، كعَقل البعير بالعقال، وعَقَلَ فلان لسانه[١٦]، ويقول الشريف الجرجاني: "العقل مأخوذ من عقال البعير، يمنع ذوي العقول من العدول عن سواء السبيل"[١٧]، فدلالة (عقل) مقترنة بالسلوك الأخلاقي، وكفِّ اللسان عن الكلام السيئ، ما يعني أنَّ النشاط العقلي –بحسب هذه الدالة اللسانية–نشاط قيمي، غير معني بالنشاط العلمي التجريبي المفضي إلى الاختراع، وزيادة الإنتاج. وتدحض عبارة: (العقل هو القوة المتهيئة لقبول العلم) فكرةَ وجود أي أثر للتجربة الحسية، فما العقل إلا قوة مهيأة لتقبل المعلومات، التي هي –من منظور عربي إسلامي–العلم بالدين، والفقه، والشريعة، ولا شأن لها بعلوم الفيزياء، والكيمياء، بل هي معدودة من العلوم الإنسانية.

ولم ترد لفظة (عقل) في القرآن الكريم بشكلها هذا، بل وردت مشتقاتها، كـــ(يعقل، ونعقل، ويعقلون، وتعقلون، وعقلوا)، ومن الأمثلة على ذلك الآيات الكريمة الآتية :

"أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ" البقرة/١٧٠. و"صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ" البقرة/ ١٧١. و"اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ" المائدة/ ٥٨. و"يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ" المائدة/ ١٠٣. و"إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ" الأنفال/ ٢٢. وليس في هذه الآيات الكريمة ما يدلّ على المنهج الاستقرائي، والتجربة الحسية، المفضية إلى الاختراع، وزيادة الإنتاج[١٨].

الدالة الثانية: القلب

قَلْبُ الشيءِ: تصريفُهُ، وصرْفُه عن وجهٍ إلى وجهٍ، كقلب الثوب، وسُمّي قلبُ الإنسان قلباً لكثرة تَقَلُّبِه، ويُعبَّر بالقلب عن المعاني التي تختصّ بالروح، والعِلم، والشجاعة[١٩]، وقد وردت دالة القلب – بهذه الدلالة–في القرآن الكريم بصيغة (قلب)، و(قلوب)، ومن ذلك:

"فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ" آل عمران/١٥٩. و"وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِها" الأعراف/ ١٧٩. و"وَطُبِعَ على قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ" التوبة/ ٨٧. و"وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ، لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا، أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ، أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ" الأعراف/ ١٧٩. وليس في هذه الدالة اللسانية، ولا في الآيات الكريمة ما يدل على المنهج الاستقرائي، والتجربة الحسية، المفضية إلى الاختراع، وزيادة الإنتاج، وما جاء من ذكر لبعض الحواس البشرية مرهون بالجانب التربوي من الإنسان[٢٠].

الدالة الثالثة: الفؤاد

الفؤاد كالقلب، ولكن يُقال له: الفؤاد إذا اعتُبِرَ فيه معنى التفؤُّد، أي التوقّد، يقال: فأدتُ اللحم: شويته، ولحم فئيد: مشويٌّ[٢١]. وجاءت هذه الدالة في القرآن الكريم بصيغة فؤاد، وأفئدة، ومن ذلك: "مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى" النجم/ ١١. و"وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ" الأنعام/ ١١٠. و"وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ" الأنعام/ ١١٣. و"وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ" هود/ ١٢٠. و"فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ" إبراهيم/ ٣٧. وليس في هذه الآيات الكريمة ما يدل على المنهج الاستقرائي، والتجربة الحسية، المفضية إلى الاختراع، وزيادة الإنتاج[٢٢].

الدالة الرابعة: البصيرة

يُقال: البصر للجارحة الناظرة، أي العين، وجمع البصر: أبصار، أما البصيرة –وهي ما يخصُّ الدلالةّ على العقل–فجمعها بصائر[٢٣]، وجاء في لسان العرب: البصيرة: عَقيدة القلب، وهي اسم لما اعتُقد في القلب من الدين، وتحقيق الأمر، وهي كذلك الفِطْنة، والعِبْرة، والثبات في الدين، والتبصُّر: التأمُّل، والتعرّف[٢٤]. وقد وردت هذه الدالة بصيغ صرفية متعددة في كتاب الله المجيد، كما في الآيات الكريمة الآتية:

"قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" يوسف/ ١٠٨. و"قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ" الأنعام/١٠٤. و"تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ" ق/ ٨. و"وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا" الإسراء /٥٩. و"هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ" الجاثية /٢٠. وليس في هذه الآيات الكريمة ما يدل على المنهج الاستقرائي، والتجربة الحسية، المفضية إلى الاختراع، وزيادة الإنتاج[٢٥].

الدالة الخامسة: اللُّبّ

اللُّب: العقل الخالص من الشوائب، وقيل هو ما زكى من العقل[٢٦]، وجاءت هذه الدالة في القرآن الكريم بصيغة (أولو الألباب)، كما في الآيات الكريمة الآتية:

"وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" البقرة/ ١٧٩. و"وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ" البقرة/ ١٩٧. و"وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ" البقرة/ ٢٦٩. و"يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ" آل عمران/ ٧. و"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ" آل عمران /١٩٠. وليس في هذه الآيات الكريمة ما يدل على المنهج الاستقرائي، والتجربة الحسية، المفضية إلى الاختراع، وزيادة الإنتاج[٢٧].

الدالة السادسة: النُّهى

النهى: الزجر عن الشيء، أي (الردع)، والنُّهيَة: العقل الناهي عن القبائح، جمعها: نُهًى[٢٨]. وجاءت هذه الدالة في القرآن الكريم بصيغة أولي النُّهى، وعلى النحو الآتي:

"كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ" طه/ ٥٤. و"إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ" طه/ ١٢٨. وليس في هذه الآيات الكريمة ما يدل على المنهج الاستقرائي، والتجربة الحسية، المفضية إلى الاختراع، وزيادة الإنتاج.

الدالة السابعة: الحِجْر

الحجر: المنع، وقيل للعقل حِجْرٌ لكونه يمنع الإنسان ممّا تدعوه إليه نفسه[٢٩]، وجاء في لسان العرب: الحِجْر: العقل، واللب، لإمساكه، ومنعه، وإحاطته بالتمييز[٣٠]. أما الصيغة التي وردت بها هذه الدالة في القرآن الكريم فهي (ذي حِجر)؛ كما في قوله تعالى: "هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ" الفجر/٥. وليس في هذه الآية الكريمة ما يدل على المنهج الاستقرائي، والتجربة الحسية، المفضية إلى الاختراع، وزيادة الإنتاج.

الدالة الثامنة: الفِقه

الفِقه: هو العلم بأحكام الشريعة؛ يقال: فَقُه الرجل فقاهةً: إذا صار فقيهاً[٣١]. وجاء في لسان العرب: الفِقْه: العلم بالشيء، والفهم له، وغلبَ على عِلْم الدين[٣٢]، فالتفقه بالآيات هو تفقه ديني. ولم ترد هذه الدالة في القرآن الكريم بصيغة (فقه)، بل بصيغ صرفية أخرى، كما في الآيات الكريمة الآتية:

"فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ" التوبة/ ١٢٢. و"وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا" الأسراء/ ٤٤. و"قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا" هود/ ٩١. و"فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا" النساء/ ٧٨. و"انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ" الأنعام/ ٦٥. وليس في هذه الآيات الكريمة ما يدل على المنهج الاستقرائي، والتجربة الحسية، المفضية إلى الاختراع، وزيادة الإنتاج[٣٣].

الدالة التاسعة: الفِكْر

التفكّر لا يقال إلا فيما يُمكن أن يحصُل له صورة في القلب[٣٤]، وجاء في لسان العرب: الفكر إعمال الخاطر في الشيء، والتفكّر: التأمل، والخاطر: ما يَخطُر في القلب من تدبير، أو أمر، والخاطر كذلك: الهاجس[٣٥]، ولم تأتِ هذه الدالة في القرآن الكريم بصيغة (فكْر)، بل بصيغة فعلية، كما في الآيات الكريمة الآتية:

"فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" الأعراف/ ١٧٦. و"كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" يونس/ ٢٤. و"إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" الرعد/ ٣. و"إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" النحل/ ١١. و"وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" النحل/ ٤٤. وليس في هذه الآيات الكريمة ما يدل على المنهج الاستقرائي، والتجربة الحسية، المفضية إلى الاختراع، وزيادة الإنتاج[٣٦]، فكل ما مذكور دعوة للتفكر التأملي في المخلوقات العظيمة، بقصد الوصول إلى عقيدة توحيد الخالق تبارك وتعالى.

الدالة العاشرة: النَّظَر

النظر: تقليب البصر، والبصيرة لإدراك الشيء، ورؤيتِه، وقد يُراد به التأمل والفحص[٣٧]، ولم تأتِ هذه الدالة في القرآن الكريم بصيغة (النَّظَر)، بل بمشتقاتها، ومن ذلك مثلاً:

"قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" يونس/ ١٠١. و"أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض" الأعراف/ ١٨٥. و"انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ" المائدة/ ٧٥. وليس في هذه الآيات الكريمة ما يدل على المنهج الاستقرائي، والتجربة الحسية، المفضية إلى الاختراع، وزيادة الإنتاج، فكل ما مذكور دعوة للنظر التأملي في المخلوقات العظيمة، بقصد الوصول إلى عقيدة توحيد الخالق تبارك وتعالى.

الدالة الحاديةَ عشرةَ: الحِجا

وهي دالة لغوية عقلية غير مستعملة في القرآن الكريم، ومعناها: العقل، والفِطنْة. وليس لهذه الدالة ارتباط بالسببية العلمية الطبيعية، والتجربة الحسية، المفضية إلى الاختراع، وزيادة الإنتاج.

الدالة الثانية عشرة: الذِّهْن

وهي دالة لسانيّة عقلية غير مستعملة في القرآن الكريم، ومعناها: الفهم، والعقل، وحِفْظ القلب. وليس لهذه الدالة ارتباط بالسببية العلمية الطبيعية، والتجربة الحسية، المفضية إلى الاختراع، وزيادة الإنتاج.

خامساً: تجريد البنية الدلالية

تظهر النتيجة المبدئية المستخلصة من دراسة دوال العقل المستعملة في القرآن الكريم؛ (العقل، والقلب، والفؤاد، والحِجْر، والنُّهى، واللُّب، والبصيرة، والفِقه، والفِكر، والنَّظَر) أنّها دوال مُحيلة على بنية أخلاقية، قيمية، وعظية، تتمحور وظيفتها المجتمعية حول تقويم سلوك الناس، كما أنها بنية علمية، ولكن بطبيعة تأملية، استنباطية، تعمل بـــ(الجدل النازل)[٣٨] في محاولة فهم الأشياء، وتلقّي المعلومات، وليست بنيةً داعية إلى التجربة المختبرية، المبنية على تجميع البيانات الحسية، الكاشفة عن القوانين الفيزيائية، والكيميائية، والحيويَّة، وليست داعية لاستلال قانون السببية، وإلى التجريب، والاستقراء الناقص، وليست عاملة بـــ(الجدل الصاعد)[٣٩]، ما يعني تحقق الفرضية التي بدأنا بها هذه الدراسة، فالعقل العربي عقل تأملي، قيمي، وعظي، أخلاقي. وليست هذه الحال ناتجة عن خلل عضويّ، أو تركيبة جينيّة، بل هي نتيجة منطقيّة للطبيعة الجغرافيّة الصحراويّة، وما يتمخض عنها من شحّ الموارد الغذائية، المفضي إلى تشكّل تلك السلسلة الطويلة من الحروب الأهليّة؛ (القبلية) التي يطلق عليها في اللسانيات الأنثروبولوجية العربية بـــ(أيام العرب)، فليس بمستطاع الإنسان الباحث عن لقمة العيش في أجواء متواصلة من غياب عناصر الاستقرار ممارسة البحث العلمي التجريبي. وينبني هذا التحليل على فرضيّة صحة علم السلوك، الذي يرى "أن الإنسان هو ابن الظروف"[٤٠]، بمعنى أن الوقائع الطبيعيّة هي التي تتولّى صياغة الجنبة السلوكيّة للإنسان، وبالبناء على ذلك فإن الراعي البدوي الذي

يعيش في الصحراء، ورائد الفضاء المنطلق في مركبة فضائية نحو السماء شخصان مختلفان اختلافاً كبيراً، قد يصل إلى درجة التناقض، ولكن، لو استُبدل أحدهما بالآخر، في اللحظات الأولى من الحياة، لصار الراعي البدوي رائد فضاء، وصار رائد الفضاء راعياً بدويًّا يهيم مع قطيعه في الصحراء الشاسعة[٤١]. لذا لم يكن انشغال العرب بالنشاط العلمي التجريبي، والبحث في قوانين الطبيعة جزءاً من يوميات حياتهم الطويلة، كما هي حال الشعوب الغربية، التي تكلّم الدكتور محمد عابد الجابري على بعضٍ منها، وهي شعوب تمتلك –بسبب الطبيعة الجغرافية الأوربية–عناصر الاستقرار، وأسباب المعيشة الجيدة، والقدرة على إنشاء المدن القابلة للحياة، ومن ثمَّ إنشاء مختبرات الفيزياء والكيمياء الثابتة القادرة على الاستمرار.

وفي حال نقل دراسة دوال العقل العربية إلى الحقبة الإسلامية، التي تميزت بإنشاء الدولة المنظمة، وتسيّد المدينة العربية، فإن الأمر يتعالق بشبكة معقدة من الأسباب التي حالت دون تحوّل العقل العربي إلى منهج التفكير الحسي التجريبي المُنتِج للعلوم الطبيعية. ولعل الطغيانَ السياسيَّ المتمثلَ بالحكومات (الإسلامية) السُّلاليّة الجبريّة، ذات الملك العضوض، التي قهرت الناس، واستعبدتهم، وكثرةَ الحروب الأهلية التي شغلت جانباً كبيراً جدًّا من حياة الناس سببان كافيان لتشتيت نشاط الإنسان العربيّ المسلم، فضلاً عن غياب الشعور بالأمان المعيشي المرتبط بالإخفاق الاقتصاديّ المزمن، الناتج عن الطريقة الريعيّة في إدارة الموارد المالية. إن بيئة حياتية كهذه كافية لإضعاف قدرة أي شعب على الإبداع العلميّ، وقد ظلت آثارها فاعلة في الأزمنة الحديثة من حياة الإنسان العربي[٤٢].

وكيفما كانت الأسباب الموضوعية فإن العرب –في نهاية المطاف البحثي–لم يفكروا بطريقة تجريبية استقرائية كاشفة عن خفايا العلوم الطبيعية، ولم يخترعوا الآلات المشتغلة بحرق الوقود المستخرج من باطن الأرض، بحسب القوانين الفيزيائية، والكيميائية، ولم يُحسنوا تصنيع الأدوية العلاجيّة بطريقة مختبريّة، فقد بقي جابر بن حيان الكوفي، وأضرابه من العلماء، والأطباء العرب والمسلمين لحظات مضيئة عابرة في التاريخ العربيّ الإسلاميّ، يجري استدعاؤها في مواضع التفاخر، والعنعنات الحضارية.

ولمّا كان المستعمل من دوال العقل في العربية في المستوى الأنثروبولوجي الثقافي العربي هو عينه المستعمل في النص القرآني المقدّس، كما تبيَّن من سيرورة البحث، فإن أمراً كهذا يدفع باتجاه القول بتطابق البنية الدلاليّة في هذين الحقلين اللسانيّين، حتى هذه المرحلة من البحث في أقل تقدير. فهل هذه النتيجة معطًى معرفي نهائي، بحيث يمكن الجزم بخلو القرآن الكريم من الدعوة إلى التفكير العلمي السببي التجريبي الذي يفضي إلى فهم الظواهر الطبيعية، ومعرفة قوانينها الفيزيائية والكيميائية والإحيائية، التي تتسبب في انبثاق الاختراعات التقنية، وزيادة الإنتاج في الأطعمة، والأدوية، وسائر البضائع الحياتية المتباينة، أم ثمة شيء آخر؟

يتطلّب فكّ هذه الإشكالية المعرفية (الإبستيمولوجية) الإجابة عن الأسئلة الآتية:

السؤال الأول: لماذا استعمل القرآن الكريم دوال العقل المتداولة في اللسانيات العربية؟

السؤال الثاني: ما وظيفة الكتب السماوية؟

السؤال الثالث: هل اكتفى القرآن الكريم فعلاً بالدعوة إلى تفعيل العقل الأخلاقي السلوكي فقط؟

إجابة السؤال الأول:

إن استعمال القرآن الكريم لدوال العقل المتداولة في اللسانيات العربية جاء من منطلق موافقته لواقع حال الشعب العربيّ، بوصفه الشعب المتلقي الأول لصدمة التنزيل، ومسوّغ ذلك هو قوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ" إبراهيم/ ٤، ويُعرف هذا التأصيل المعرفي اللساني في الثقافة العربية الإسلامية بعبارة (كلَّم اللهُ العربَ بكلامها)، ففي رواية علمية متداولة في التراث العربي الإسلامي، سُئِل عالم العربية؛ أبو عبيدة معمر بن المثنى عن قوله تعالى: "طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ" الصافات/ ٦٥، كيف وقع هذا التشبيه؛ (تشبيه طلعِ شجرة في نار جهنم برؤوس الشياطين)، مع أن المشبَّه به؛ (رؤوس الشياطين) غير معروف؟ وفي المعتاد أنَّ الوعد والوعيد يقعان بالأشياء المعروفة، فقال أبو عبيدة للسائل: إنما كلَّم اللهُ العربَ على قدر كلامها، فالعرب –في كلامها– قد تُشبّه شيئاً محسوساً بشيءٍ وهميٍّ، ومما يُستدَّل به في شأن كهذا قول امرئ القيس:

أَيَقتُلُني وَالمَشرَفِيُّ مُضاجِعي .. وَمَسنونَةٌ زُرقٌ كَأَنيابِ أَغوالِ.

المشرفي سيف منسوب إلى المشارف وهي قرًى من أرض العرب، تدنو من الشام، تصنع فيها السيوف. والزرق المسنونة: السهام المحدودة، جعلها زرقاً لصفائها، وشبَّهَها بأنياب الأغوال تشنيعاً لها، ومبالغةً في وصفها، والأغوال: الشياطين، والعرب لم يروا الغول قطّ، ولكنّهم لمّا كان أمره يهولهم أَوْعدوا به[٤٣]. إنّ استعمال دوالّ العقل الأخلاقي في القرآن الكريم جاء موافقاً لاستعمال العرب في حياتهم اليوميّة، بمعنى الموافقة للمتداول اليومي في حياة الشعب العربيّ القديم، بوصفه المتلقي الأول لصدمة التنزيل القرآنيّ، ولمسؤوليّة الوعي بالرسالة السماويّة، والنهوض بأعباء نشرها بين الشعوب، والأمم، ما يتطلب مخاطبته بما يستطيع فهمه في تلك المرحلة المتقدمة، أو المبكِّرة.

إجابة السؤال الثاني:

القرآن الكريم كتاب هداية للجماعة البشرية؛ قال تعالى "إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" النحل/٩٠، وقال تعالى: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللّهَ كَثِيراً" الأحزاب/٢١، وقال تعالى: "اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ، إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ" العنكبوت/٤٥. وغير ذلك كثير من الآيات الداعية إلى تهذيب النفس

الإنسانيّة، وتيسير سبل التعامل بين الناس[٤٤]، فالقرآن الكريم كتاب للتربية البشريّة، هادف إلى إقامة مجتمع العدل والكفاية، وليس كتاباً في نظريات علوم الطبيعة، وإن لم يكن خالياً في بعض نصوصه من إشارات علمية طبيعية مهمّة جدًّا، بل هو كتاب يتضمن كشوفاً علميّة، تمكنت الحضارات الإنسانية، غير الإسلامية، من إدراكها في أوقات متأخرة من التاريخ الإنساني، لكنه غير معني بإنشاء مختبرات الفيزياء، والكيمياء، والعلوم الطبية، فهذه شؤون حياتية يومية، يقوم بها الناس من تلقاء أنفسهم، وتحرّكهم المصالح الفردية والجماعية نحو ذلك، أي هي شؤون عارضة تنتظم بحسب حاجات الناس، وطبيعة الظروف السياسية، والطبيعية المحيطة بهم.

إجابة السؤال الثالث:

ليست مقولة ترك القرآن الكريم تركاً كاملاً الدعوةَ إلى منهج البحث الاستقرائي، والاكتفاء بالجنبة القيمية الأخلاقية، على قدر واسع من الدقة العلمية، بل هي مجافية لواقع عدد من النصوص القرآنية. ويتطلب حلُّ هذه الإشكاليّة البحث عن دوالّ أخرى غير الدوال التي جرى الحديث عنها حتى هذه اللحظة، بمعنى البحث عن دوالّ من نوع مختلف، يمكن أن تتعلق بحواريّة قرآنية معينة، أو بنصٍّ متعدد الجُمل، ويمكن بيان الأمر بعرض عدد من الآيات التي تثبت ذلك، وعلى النحو الآتي:

أ-آيات المنهج الاستقرائي

ثمة آيات -في القرآن الكريم- دالة على التفكير بمنهج تجريبي استقرائي، مضمونها الدعوة إلى تقصّي جزئيات الكون، بيد أنها لم تَسْتَعمل أي دالة من دوال العقل المألوفة في المتداول اللساني اليومي من الحياة العربية، وهي آيات -حتى لو كان الهدف الأول من استعمالها الوصول إلى عقيدة التوحيد-تؤسس منهجاً عقليًّا جديداً، يفضي في بعض نتائجه إلى التدريب على فهم موجودات العالم؛ من ذلك مثلاً: قوله تعالى "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ" فصلت/ ٥٣، فهذه الآية غير مشتملة على دالة من دوال العقل في العربية، لكنَّ المنهج الاستقرائي يبدو فيها واضحاً بأجلى صُوَرِه الممكنة، فثمة دعوة لرؤية كل شيء في النفس البشرية، وفي الآفاق الكونية، للوصول إلى المعرفة.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: "أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهاداً، وَالجِبَالَ أَوْتَاداً، وَخَلَقْناكُمْ أَزْوَاجاً، وَجَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً، وَجَعَلْنا اللَّيْلَ لِباساً، وَجَعَلْنَا النَّهارَ مَعَاشاً، وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً، وَجَعَلْنا سِرَاجاً وَهَّاجاً، وَأَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ ماءً ثَجَّاجاً، لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتاً وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً" سورة النبأ/ ٦-١٦، فهذه الآيات غير مشتملة على دالة من دوال العقل العربية المعهودة، لكنها تدعو الإنسان المسلم المخاطب عربيًّا كان أم غير عربي، إلى البحث الاستقرائي التجريبي في جزئيات العالم، لاستخراج دليل إثبات

الخالق، بدعوتها الإنسان إلى تقصّي تلك الجزئيات المحيطة بحواسه الخمس، التي هي –في حقيقة الأمر، وفي نهاية المطاف–أدوات المنهج الاستقرائي التجريبي.

ب–آيات الجدل الصاعد والنازل

العقل العربي –على وفق المُعطى البحثي–عقل تأملي استنباطي، يعمل بالجدل النازل، في طريقته لفهم العالم، ولهذا تأتي الصفة بعد الموصوف في اللغة العربية، فيقال: هذا كتابٌ جيدٌ، بخلاف اللغة الإنكليزية التي تضع الصفة قبل الموصوف في الجملة، فيقال: (This is a good book)، أي: هذا جيدٌ كتابٌ، وسبب ذلك أن العقل الإنكليزي عقل استقرائي، يشتغل بالجدل الصاعد، ولعلّ في هذا التركيب النحويّ شيئاً من توكيد (فرضية وورف و سابير). والإنكليزي يقول أيضاً: (This is a beautiful comfortable home)، أي: هذا جميلٌ مريحٌ منزلٌ. أما العربي فيقول: هذا منزلٌ جميلٌ مريحٌ[٤٥].

وبغضّ النظر عن القيمة المعرفية (الإبستيمولوجية) لهذا الفهم[٤٦]، ومدى صحة دعمه لحقيقة (دوال العقل) التي تَقَدَّمَ البحث بشأنها، وانفرادها بالسيطرة على العقل العربي، وتأكيد قضية كونه عقلًا استنباطيًّا، فإن ثَمَّة آفاقاً معرفية خطيرة، يمكنها أن تدحض –على قدر تعلق الأمر بالقرآن الكريم– انفراد هذه البنى المنهجية به، كتلك الآيات الحوارية الكريمة التي تدفع باتجاه التعامل بالمنهج التجريبيّ الاستقرائيّ الحسيّ، مع موجودات هذا العالم، ولعل من أبرزها المناظرة الشهيرة المتعلقة بمسألة إثبات الخالق، التي جرت بين الفرعون المصري المدّعي للألوهة المطلقة[٤٧]، ونبيّ الله تعالى؛ موسى بن عمران (عليه السلام)؛ قال تعالى: "قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ" الشعراء/ ٢٣–٢٤، فهذا النص القرآني الكريم لا يشتمل على أي دالة من دوال العقل العربية المعروفة، ولكن –ومن الواضح جدًّا، وبقليل من النظر المعرفي في مضامينه الدلالية– يمكننا رؤية أن الفرعون المصري سأل نبي الله موسى (عليه السلام) عن الذات الإلهية، بمورفيم الكينونة؛ (ما)، في قوله "وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ"، ما يعني أنه استعمل الجدل النازل العقلي الاستنباطي، أما النبيُّ الكريم موسى الكليم (عليه السلام) فأجاب الطاغية المصري بالتنبيه إلى ضرورة الفهم بالصفات الإلهية، في قوله "رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ" مستعملاً الجدل الصاعد، وهو جدل استقرائي، مبني على تجميع الوقائع، وهي مخلوقاتُ الله تعالى من أجل السعي في محاولة الوصول إلى معرفته، وصولاً إلى الإذعان البشري للتوحيد، فكأنَّ النص من حيث هو نصٌّ، وليس من حيث هو جمل عربية متقطّعة، جاء على وفق التركيبة النحوية الإنكليزية، التي تُقَدِّم، في بنيها النحويّة، الجزئياتِ الحسية على الحقيقة الكليّة.

وفي نصٍّ قرآني آخر يَروي قصةَ المناظرة نفسها؛ قال تعالى: "قَالَ فَمَن ربّكُمَا يا مُوسَى، قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى" طه/ ٤٩-٥٠، ففي هذا النصِّ الكريم نرى الأمر نفسه متكرراً، فسؤال الفرعون المصري كان عن (الذات) بقوله: "فَمَن ربّكُمَا يا مُوسَى"، وجواب نبي الله موسى كان بذكْر (الصفات) في قوله "رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ"، والمغزى من هذا كله أنَّ نبي الله موسى (عليه السلام) استعمل دليل الاستقراء، وتقصي جزئيات الكون، لإثبات وجود الخالق. وليس -في النص كما هو بيِّن- من دالةٍ من دوال العقل المعهودة في المتداول اليومي العربي، ولكنه نصٌّ يحثُّ على اتخاذ المنهج الاستقرائي وسيلةً لفهم العالم.

وفي قصة نبي الله إبراهيم الخليل (عليه السلام) ثمة حوار داخلي بين هذا النبي الجليل ونفسه[٤٨]، أو بينه وبين جزئيات هذا الكون الفسيح، بمسارات منطقية استقرائية، تتوخى الجدل الصاعد، وصولاً لمعرفة الحقيقة الإلهية؛ قال تعالى: "وكَذلكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ، فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَباً، قَالَ هذا رَبِّي، فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ، فَلَمَّا رَأَى القمَرَ بازِغاً قَالَ هذا رَبِّي، فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ، فلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هذا رَبِّي هذا أَكْبَرُ، فَلَمَّا أَفَلَتْ قالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ، إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" الأنعام / ٧٥-٧٩، فبعد إعمال الفكر-لدى نبيّ الله؛ إبراهيم (عليه السلام)-في جزئيات العالم، انتهى البحث إلى إدراك الحقيقة الكلية، والإيمان بالله الواحد الأحد الذي فطر السماوات والأرض.

وفي القصة نفسها ثمة تحشيد واضح لمنهج الجدل الصاعد في استكناه أثر الحقيقة الإلهية المفسِّرة لخلق العالم، وفي نمط بثّها من نبيّ الله؛ الخليل (عليه السلام) إلى مواطنيه الكلدانيين، في المملكة البابلية، السادرين في تقديس الأوثان، من دون الله الواحد الأحد، فقد درج هذا النبيّ الكريم، مرة بعد أخرى، على استعمال الجدل الصاعد لتبيان الحقيقة الإلهيّة، وقد حكى القرآن الكريم -في هذا الشأن- مناظرة حواريّة لافتة للنظر المعرفي (الإبستيمولوجي)، في ذلك الزمن البعيد؛ قال تعالى: "إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ما هذهِ التَّمَاثِيلُ الَّتي أَنتُمْ لَها عَاكِفُونَ" الأنبياء/ ٥٢، فسأله قومه -في حالٍ من التشكيك الحثيث-عمَّا جاء به من طروحات جديدة تتعلق بالخلق والوجود؛ قال تعالى: "قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ" الأنبياء/ ٥٥، فكان الردُّ ردًّا استقرائيًّا قائماً على الجدل الصاعد، إذ ذكر النبيّ الكريم -في ردّه- جزئيات العالم، التي يتوصل الإنسان ببحثها إلى الإيمان الحق بالله الواحد الأحد؛ قال تعالى: "قالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّماواتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنا على ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ" الأنبياء/٥٦. وإتماماً لتبليغ الرسالة الإلهيّة انتقل هذا النبي العظيم؛ نبيّ الجدل الصاعد، والإقناع الحسي، إلى مرحلة إجرائيّة ذات وقع سيميائيّ خطير، عندما شرع بتكسير التماثيل المعبودة من دون الله تعالى، ليثبت للناس -بالأثر الحسي الملموس-حقيقة الوهم العقائدي المنوط بتلك الكتل الحجريّة

الصنميّة، التي لا تغني من الحق شيئاً؛ قال تعالى: "وتاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلّوا مُدْبِرينَ، فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً إِلَّا كَبيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ" الأنبياء/ ٥٧-٥٨، ليتحطم بتحطيمها النسقُ الثقافيُّ الحامي لها في العقول الوثنيّة. ولما صَدَمَ مشهدُ التحطيم الكامل للأوثان قومَ النبيّ الخليل (عليه السلام)، "قالوا مَن فَعَلَ هذا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمينَ" الأنبياء/٥٩، و"قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هذا بِآلِهَتِنَا يا إِبْرَاهيمُ" الأنبياء/٦٢. لكن نبيّ الجدل الإيمانيّ الصاعد أحال -إتماماً للحجة المنطقية -فعلَ التكسير على الصنم الأكبر، ليضع قومه الكلدانيين في حرج البحث عن الإجابة الصحيحة، التي يعرفها الإنسان العاقل بالمعتاد من الخبرة (الحسيّة التجريبيّة) اليوميّة، فليس ثمةَ صنمٌ يكسر صنماً آخر؛ الأمر الذي لا يعدو سوى كونه شيئاً من بدائه العقل البشري؛ قال تعالى: "قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ" الأنبياء/٦٣.

وقد يُطرح سؤال على المستوى المعرفيّ (الإبستيمولوجي) عن علاقة هذا الفعل اللساني بالدعوة إلى البحث الفيزيائي، والكيميائي وغيرهما، وبالحثّ على التجربة الحسيّة المختبريّة؟

ولمعرفة حقيقة هذه المسألة لابد من إدراك أنّ التحولات الثقافية الكبرى في حياة الأمم تتساوق مع انبثاق لحظات التأسيس الجديدة، واللحظة القرآنية، كانت في وقتها، لحظة تأسيس عربيّ إسلاميّ من العيار الثقيل، فبها، وبعدها، تغيّرت معطيات ثقافيّة، ومنهجيّة، ووجوديّة (بالمعنى الأنطولوجيّ) في الحياة العربيّة، والطريقة الذي تُعدُّ منهجاً جديداً في إثبات الخالق، لا مناص من تحوّلها -فرضيًّا في أقل تقدير-في حالِ تمثّلِها التمثّل المعرفيّ (الإبستيمولوجيّ) الصحيح إلى منهج للوعي العلميّ في حقول المعرفة الحياتيّة الدنيويّة المختلفة، وهذا جزء من سُنن الطبيعة البشريّة، فالمنهج النافع في الوصول إلى معرفة شيء ما سيكون -بالبداهة البشريّة-منهجاً مستثمَراً في معرفة أشياء أخرى، والعالم بطبيعته الفيزيائيّة، والكيميائيّة، والحيويّة، يمكن أن يكون -من الناحية النظريّة في أقل تقدير- موضع اهتمام الإنسان العربي، والمسلم، لكشف ما فيه من قوانين السببية المحركة لحدوث الأشياء.

سادساً: نقصان العقل النسوي

من البنيات الثقافية الإسلامية المتفق عليها بين المذاهب الإسلامية وَسْمُ المرأة بنقصان العقل والدين، فـ"النساء ناقصات عقل، ودين"[٤٩]، وبقيت سيرورة هذا النصّ في الثقافة العربية الإسلامية مثار نقاش طويل على امتداد الزمان والمكان الإسلاميين، ما يجعل من فهمه مطلباً من مطالب التحليل اللسانيّ الأنثروبولوجيّ. ويرتبط حلّ هذا الإشكال -كما نرى-بما كَشَفَ البحثُ عنه من كون العقل العربيّ عقلاً قيميًّا، وليس عقلاً سببيًّا، ما يعني أن المرأة غير موصوفة بنقصان العقل السببي، ولا ضعف الذكاء التجريبي، فدالة العقل في نصّ "ناقصات عقل ودين" علامة سيميائية مُحيلة على معنى (العقل) الذي تُحيل عليه في الأنثروبولوجيا العربية، وكذلك في فريق من آيات كتاب الله العزيز، الذي

هو العقل القيمي. ومما يدعم انصراف دالة (العقل) في النص الحديثي عن الإحالة على معنى السببية، ما متعارف عليه من ذلك التزايد المطّرِد في أعداد النساء اللواتي يتفوّقْنَ على كثير من الرجال، في مجالات الهندسة، والكيمياء، والفيزياء، والطب، واللسانيّات، وعلوم الصرف، والصوت، والمحاماة، والتحقيق الجنائي، والطاقة النووية.

ويضمر نص "ناقصات عقل ودين" حكايةَ حالٍ عن المرأة، وليس قدحاً، أو ذمًّا، أو تقريعاً، بدليل أنّ (نقصان الدين) كما هو مُقرر فيه يتمظهر بنقصان في أداء فروض الصلاة والصيام، مع عدم ترتّب أية مؤاخذة عَقَدية، أو فقهية عليه، فقد رُفع التكليف الشرعي عن المرأة المسلمة، في مدة حيضها، من حيث كونه قضية تكوينية، خَلْقية، جارية على وفق قوانين حيوية (بايلوجية) حتميّة، وإذا كان الأمر كذلك في قضية (نقصان الدين)، فإن التحليل الدلالي ينسحب على (نقصان العقل)، بحكم وجود أداة عطف النسق؛ (الواو)، في متن الحديث، ومن المهم الانتباه إلى أن المتبوع هو نقصان العقل، والتابع هو نقصان الدين، والمتبوع –بحكم تقدمه اللفظي–أرسخ في الدلالة على حقيقة الموضوع، فإن كان التابع غير دالٍّ على منقصة قدح، أو ذم، فإن المتبوع غير دال على ذلك من باب أوْلى. إن نقصان عقل المرأة حكاية حال عن عقلها القيمي الوعظي، من حيث كونها الجنس البشري الذي تتفوق فيه العاطفة الغريزية في قبال العقل؛ الذي هو ليس العقل السببي، أو الذكاء الذهني، بل هو (العقال) المتحكم بالمنظومة القيمية، التأملية للثقافة العربية.

ويتبدى لنا أمر الموقف العقلي النسوي من جدلية الخير والشر بشكل مقلوب لافت للنظر الوجودي (الأنطولوجي)، فنقص العقل النسوي بالمعنى اللساني العربي ليس شرًّا، بل هو خير عميم داعم للوجود للبشري في هذا العالم، لأن الزيادة العاطفية المفرطة، التي هي نقيض صريح للعقال، أو فلنقل للانضباط، العقلي، ما هي إلا الوسيلة الفضلى التي رَكَزَها الخالق جلَّ وعلا في النفس البشرية النسائية لحفظ النوع[٥]، لتكون باعثاً مستداماً لذلك النشاط النفسي والحيوي (الجسدي) الذي مكّننا به الله تعالى من الاستمرار في هذا العالم. فالمرأة تتمتع بقدرة فائقة على التضحية الحسية الجسدية من أجل المحافظة على استمرار النسل. ومن لطف التدبير الإلهي، في تشكيل المرأة أنها تصحو ليلاً لترضع ولدها الصغير، وليس من أحد يرغمها على إطعامه قبل أن تطعم نفسها، وفي ذلك العمل الليلي المتواصل توكيد شديد الوضوح للسطوة الغريزية، المخالفة للمنطق العلمي، الذي ينبغي أن يفضي بها –في حال انتهاجه–إلى تفضيل النفس على الآخر، كيفما كان ذلك الآخر حتى لو كان ولدها الرضيع.

ولا يبدو الأمر مقنعاً من وجهة نظر منطقية أن تحتمل نساء كثيرات بؤس حياة مديدة مليئة بالتعاسة الاجتماعية، والمعاناة النفسية، مع أزواج يمارسون ضدهن أصنافاً من العنف الجسدي

والمعنوي، وليس من سبب للبقاء معهم في حلبة صراع حياتي واحدة سوى التضحيةً المقدَّمة منهن على مذبح استمرار النوع البشري، ولكن بدافع غريزي، غير خاضع لسيطرة التحكم المنطقي.

ومما له مغزى أن (الأم العَزَبة)[٥١] في المجتمعات الغربية، هي التي تتولى تربية أولادها غير الشرعيين المنتمين إلى عدد من الآباء الذين عاشرتهم سفاحاً في مسيرة حياتها، فهذه المرأة لم يستطعْ تكوينها الثقافي الغربي–غير المعنيٍّ بالالتزام الدينيّ– دفعها إلى إسقاط التزاماتها المادية، والمعنوية نحو أولادها غير الشرعيين، فهي لا تفعل ذلك. ولو جرى الحال بحكم التفكير المنطقي، وليس بحكم الغريزة العاطفية فإن النتيجة ستكون تركها عبء تربية أولادها لتعيش حياتها، وتتمتع بما متاح لديها من وقت ومال في هذه العالم الغربي المتسارع، وهذه الحضارة الغربية التي تقدّم اللذة الحسية على مبدأ التضحية، والواجب الديني.

إنّ المرأة –بحسب العقل السببي–ليست أقل ذكاء من الرجل، ولا أكثر منه، فذلك يتحدد بحسب الحالة الفردية لكل إنسان في هذا العالم.

سابعاً: الخاتمة

تشير دوال العقل العربية إلى بنية قيمية أخلاقية وعظية، منشغلة بتقويم السلوك البشري، وغير مهتمة بالبحث عن الأسباب المنتجة لحدوث الأشياء في هذا العالم، وقد استعملها القرآن الكريم كلها، باستثناء دالة (الحجا)، ودالة (الذهن)، ما يعني تحصّل تطابق البنية الدلالية بين استعمال القرآن الكريم، والاستعمال اللساني الأنثروبولوجي العربي. وجاء هذا التوجه منسجماً مع حقيقة نزول القرآن الكريم على العرب، بوصفهم الشعب الأول المتلقي للصدمة الحضارية الإسلامية، في مرحلة البعثة النبوية الشريفة، لكن القرآن الكريم –على الرغم من ذلك كله– لم يُهمل الدعوة إلى التفكير بمنهج استقرائيّ تجريبيّ حسيٍّ، بل عمد إلى الحث على ذلك باستعمال صياغات لسانيّة حواريّة جديدة، لم تعهدها الثقافة العربيّة آنذاك في الحقبة الجاهلية، وفي صدر الإسلام. وإجمالاً لكل ما سبق من البحث يمكننا الزعم بأن القرآن الكريم، ولسانيات الأنثروبولوجيا العربية يتضمنان بنياتٍ عقلية متنوعة، وعلى النحو الآتي:

١–بنية دلالية قيمية، أخلاقية، تأملية؛ (عربية أنثروبولوجية، وقرآنية).
٢–بنية دلالية علمية استنباطية؛ (عربية أنثروبولوجية، وقرآنية)، عاملة بالجدل النازل.

٣–بنية دلالية علمية استقرائية؛ (قرآنية) فقط، عاملة بالجدل الصاعد، كاشفة عن قوانين السببية، وهي غير موجودة في النشاط اللسانيّ الأنثروبولوجي العربيّ، وتُعدُّ –من حيث كونها دعوة إلهية قرآنية–

إحدى العلامات الفارقة في تعزيز (الشكل الجديد الافتراضي) المرجو حدوثه للعقل العربي، بعد نزول القرآن الكريم، وانقضاء الحقبة الجاهلية.

الحواشي

[١]) دوالّ العقل: هي المصطلحات اللسانيّة المعبرة عن ماهيّة العقل في اللغة العربيّة، أما العقل: فهو القضية المستهدفة بالكشف عن حقيقة بنيتها الدلالية في القرآن الكريم، وفي الثقافة العربية القديمة، في هذه الدراسة. ودوال العقل أوسع من أن تُصنَّف على أساس المورفيم الحر، والمورفيم المقيد، فبعضٌ منها كـ(يعقلون) مثلاً يتشكّل من النوعين كليهما.

[٢]) تُعد اللسانيات الأنثروبولوجية فرعاً من فروع اللسانيات الموسَّعة، وتُعرَّف بأنها "دراسة الكلام واللغة في سياق الأنثروبولوجيا" الأنثروبولوجيا الألسنية (ألساندرو دورانتي) ٢١. وهي كذلك دراسة اللغة بوصفها ثروة ثقافية، والكلام بوصفه ممارسة ثقافية. ينظر: الأنثروبولوجيا الألسنية (ألساندرو دورانتي) ٢٢. أمّا الثقافة فهي بحسب تعريف عالم الأنثروبولوجيا البريطاني إدوارد بارنات تايلور (ت ١٩١٧): "هذا الكلّ المركّب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات، والفن، والأخلاق، والقانون، والعادات، وكل القدرات، والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع" مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية (دنيس كوش) ٣٠ –٣١، ويُعدُّ هذا التعريف مفتاحاً معرفيًّا (إبستيمولوجيًّا) شديد الأثر في دراسة علاقة اللسانيّات بالأنثروبولوجيا.

[٣]) الكشف عن هذا التناظر هدف رئيس من أهداف اللسانيات الأنثروبولوجية.

[٤]) مدارس اللسانيات، التسابق والتطور (سامسون) ٨٠–٨١. وينظر: دليل السوسيولسانيات (كولماس) ٧٦٣–٧٦٤.

[٥]) ينظر: دليل السوسيولسانيات (كولماس) ٧٦٣.

[٦]) ينظر: دليل ميسر إلى الفكر والمعنى (راي جاكندوف) ١٤١.

[٧]) ينظر: دليل السوسيولسانيات (كولماس) ٧٦٣.

[٨]) الفلسفة الألمانية، مقدمة قصيرة جدًّا (أندرو بووي) ٢٦.

[٩]) ينظر: تكوين العقل العربي (الجابري) ١١.

[١٠]) يُعدُّ الدكتور محمد عابد الجابري –في سلسلة مؤلفاته عن العقل العربي–علامة فارقة في التأليف المعرفي العربي في العصر الحديث، بغض النظر عن تنوّع مواقف الباحثين بشأنه، لذا فرأيه يمثل مساحة حوار جدلية واسعة، بل إشكالية من عيار معرفي (إبستيمولوجي) ثقيل، ويصلح بسبب قوة تأثيره في الحقل المعرفي (الإبستيمولوجي) العربي أن يكون محوراً رئيساً للوصول إلى كشوف معرفية متنوعة بين النقض، والتأييد، والمناصفة.

[١١]) تكوين العقل العربي ط ١٠، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٢٩–٣٠. وإدراك الأسباب: معرفة قوانين حدوث الأشياء، كقوانين الفيزياء، والكيمياء مثلاً.

[١٢]) المنهج الاستقرائي الحسي، أو التجريبي: منهج يرى –في مقابل المنهج العقلي الاستنباطي–أنّ المعرفة تشتق من الخبرة، والخبرة هي ما تمدّنا به حواسُّنا من معرفة، لأن العقل (صفحة بيضاء) ليس فيه إلّا ما تنقله إليه الحواسّ، وأنّ حقائق الرياضيات، والهندسة، والمنطق وحدها التي لا تحتاج إلى الخبرة. ينظر: مدخل إلى فلسفة العلوم (الجابري) ١٢، والفلسفة، موضوعات مفتاحية (جوليان باجيني) ٧٦.

[١٣]) ينظر: تكوين العقل العربي (الجابري) ٢٠.

[١٤]) ينظر: القاموس، إنكليزي – عربي (The dictionary, English–Arabic) ٦٠٩.

[١٥]) القاعدة التي لا استثناء لها ليست قاعدة، بل مسلَّمة معرفيّة، والمسلمات ليست مقصودة بالبحث، والنقاش.

[١٦]) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (الراغب الأصفهاني) ٥٧٧-٥٧٨.

[١٧]) التعريفات (الجرجاني) ١٥٥.

[١٨]) ومن الآيات الأخرى في هذا السياق: "أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ" يونس/ ٤٢. و"وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ" يونس/ ١٠٠. و"إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" الرعد/ ٤. و"أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا" الحج/ ٤٦. و"أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ" الفرقان/ ٤٤. و"قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ" العنكبوت/ ٦٣. و"كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" الروم/ ٢٨. و"وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ" يس/ ٦٨. و"قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ" الزمر ٤٣. و"إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ" الحجرات/ ٤. و"تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ" الحشر/ ١٤. و"أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" البقرة/ ٤٤. و"يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ" البقرة/ ٧٥.

[١٩]) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (الراغب الأصفهاني) ٦٨١.

[٢٠]) ومن الآيات الأخرى في هذا السياق: "وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ" التوبة/ ٨٧. و"صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ" التوبة/ ١٢٧. و"كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" الروم/ ٥٩. و"وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ" الزمر/ ٤٥. و"ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ" المنافقون/ ٣.

[٢١]) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (الراغب الأصفهاني) ٦٤٦.

[٢٢]) ومن الآيات الأخرى في هذا السياق: "مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ" إبراهيم/ ٤٣. و"وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" النحل/ ٧٨. و"إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا" الأسراء/ ٣٦. و"وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ" المؤمنون/ ٧٨. و"كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا" الفرقان/ ٣٢. و"وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا" القصص/ ١٠. و"وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ" السجدة/ ٩. و"وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ" الأحقاف/ ٢٦. و"قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ" الملك/ ٢٣. و"الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ" الهمزة/ ٧.

[٢٣]) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (الراغب الأصفهاني) ١٢٧.

[٢٤]) ينظر: لسان العرب (ابن منظور) ٤/ ٦٥.

[٢٥]) ومن الآيات الأخرى في هذا السياق: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ" القصص /٤٣. و"وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا، قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي، هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" الأعراف /٢٠٣. و"قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا" الإسراء /١٠٢. و"بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ" القيامة/١٤. و"إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ" آل عمران/ ١٣. و"يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ" النور/٤٤.

[٢٦]) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (الراغب الأصفهاني) ٧٣٣.

[٢٧]) ومن الآيات الأخرى في هذا السياق: "فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" المائدة/ ١٠٠. و"لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ" يوسف/ ١١١. و"إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ" الرعد/ ١٩. و"وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ" إبراهيم/ ٥٢. و"لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ" ص/ ٢٩. و"وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ" ص/ ٤٣. و"إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ

أُولُو الْأَلْبَابِ" الزمر/ ٩. و"أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ" الزمر/ ١٨. و"إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ" الزمر/ ٢١. و"هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ" غافر/ ٥٤. و"فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا" الطلاق/ ١٠.

[٢٨]) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (الراغب الأصفهاني) ٨٢٧.

[٢٩]) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (الراغب الأصفهاني) ٢٢٠.

[٣٠]) ينظر: لسان العرب (ابن منظور) ٤/ ١٧٠.

[٣١]) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (الراغب الأصفهاني) ٦٤٢.

[٣٢]) ينظر: لسان العرب (ابن منظور) ١٣/ ٥٢٢.

[٣٣]) ومن الآيات الأخرى في هذا السياق: "قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ" الأنعام/ ٩٨. و"لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا" الأعراف/١٧٩. و"يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ، إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ، وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ" الأنفال/٦٥. و"قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ" التوبة/٨١. و"وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ" التوبة/٨٧. و"صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ" التوبة/ ١٢٧. و"وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا" الكهف/٩٣. و"فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا" الفتح/ ١٥. و"ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ" الحشر/١٣. و"ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ" المنافقون/ ٣. و"وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ" المنافقون/ ٧. و"وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا" الأنعام/ ٢٥. و"فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ" التوبة/ ١٢٢. و"قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ" هود/٩١. و"وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ" الإسراء/ ٤٤. و"عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا" الإسراء/٤٦. و"إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا" الكهف/ ٥٧. و"يَفْقَهُوا قَوْلِي" طه/ ٢٨.

[٣٤]) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (الراغب الأصفهاني) ٦٤٣.

[٣٥]) ينظر: لسان العرب (ابن منظور) ٥/ ٦٥.

[٣٦]) ومن الآيات الأخرى في هذا السياق: "فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" النحل/ ٦٩. "وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" الروم/ ٢١. و"إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" الزمر/ ٤٢. و"إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" الجاثية/ ١٣. و"وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" الحشر/ ٢١. و"كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ" البقرة/ ٢١٩. و"كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ" البقرة/ ٢٦٦. و"الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" آل عمران/ ١٩١. و"قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ" الأنعام/ ٥٠. و"أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ" الأعراف ١٨٤. و"أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ" الروم/ ٨. و"أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا" سبإ/ ٤٦. و"إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ" المدثر/ ١٨.

[٣٧]) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (الراغب الأصفهاني) ٨١٢.

[٣٨]) الجدل النازل، أو الهابط: الانتقال من المفهوم المجرد إلى الواقع الملموس. ينظر: موسوعة لالاند الفلسفية ٢٧٣، والمعجم الفلسفي (مراد وهبة) ٢٣٨، والمعجم الفلسفي (مصطفى حسيبة) ١٥٤. والاستنباط: منهج تفكير ليس له أثر كبير في العلوم الطبيعية، التي تعتمد بشكل رئيس على المنهج الاستقرائي، الذي يجمع بعض جزئيات ظاهرةٍ ما وصولاً إلى القانون الضابط لها، الذي يمكن تطبيقه على سائر جزئيات الظاهرة الأخرى. ينظر: مدخل إلى الفكر الفلسفي (جوزيف بوخينسكي) ٧٠، و٧٢-٧٣.

[٣٩]) الجدل الصاعد: الانطلاق من الواقع الملموس إلى المفهوم المجرد. ينظر: موسوعة لالاند الفلسفية ٢٧٣، والمعجم الفلسفي (مراد وهبة) ٢٣٨، والمعجم الفلسفي (مصطفى حسيبة) ١٥٤.

[٤٠]) تكنلوجيا السلوك الإنساني (ب.ف. سكينر) ١٦١.

[٤١]) ينظر: تكنولوجيا السلوك الإنساني (ب.ف. سكينر) ١٦٢.

[٤٢]) نرى في العصر الحديث –على مستوى العالم– أن البلدان ذات النُّظُم الشمولية أقل أثراً في إنتاج العلوم الطبيعية، والتكنولوجية، وغاية ما تبدع فيه تطوير ما هو منتج أصلاً في بلدان ذات نُظُم ديمقراطية.

[٤٣]) ينظر: معجم الأدباء (ياقوت الحموي) ٢٧٠٦–٢٧٠٧.

[٤٤]) قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً" النساء/٩٧، وقال تعالى: "وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً" الإسراء/٣٤. وقال تعالى: "يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ" لقمان/ ١٧. وقال تعالى: "وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً" الفرقان/ ٦٣ –٦٤.

[٤٥]) ينظر: سايكولوجية اللغة والمرض العقلي (جمعة سيد يوسف) ١٥١.

[٤٦]) مما يضعف حتمية هذه القضية، ويجنح بها نحو النسبية اللسانية أنّ الفرنسية –وهي ضمن مساحة العقل الغربي– تُشبه العربية في هذه المسألة اللغوية. ينظر: سايكولوجية اللغة والمرض العقلي (جمعة سيد يوسف) ١٥١.

[٤٧]) كان ذلك الفرعون يسوّق نفسه إلهاً واحداً متفرداً؛ تقول الآية الكريمة: "وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّها الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يا هامانُ عَلى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ" القصص/ ٣٨.

[٤٨]) نعتقد –والله أعلم–أنَّ هذه المناظرة من أجلنا نحن، لأنَّ سيدنا إبراهيم (عليه السلام) مؤمن موحِّد بالمناظرة، وبدونها.

[٤٩]) صحيح البخاري (محمد بن إسماعيل البخاري) رقم الحديث ٣٠٤.

[٥٠]) ولعلّ ذلك موجود في سائر الأجناس الأخرى، غير البشرية، فالدأب على استمرار الأنواع مرتبط بالأنثى.

[٥١]) يقال: امرأة عَزَبٌ، وعَزَبَةٌ، التي لا زوج لها. لسان العرب (ابن منظور) ١/ ٥٩٥. وظاهر (الأم العزبة، أو غير المتزوجة) شائعة في العالم الغربي.

المصادر والمراجع:

–القرآن الكريم

– الأنثروبولوجيا الألسنية، ألسندرو دورانتي، ترجمة: فرانك درويش، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠١٣.

–التعريفات، الشريف علي بن محمد الحسيني الجرجاني (ت ٨١٦ ه)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ٢٠٠٣ م.

–تكنولوجيا السلوك الإنساني، ب. ف. سكينر، ترجمة: د. عبد القادر يوسف، مراجعة: د. محمد رجا الدرني، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب–الكويت، ١٩٩٨.

–تكوين العقل العربي، د. محمد عابد الجابري، ط ١٠، بيروت، ٢٠٠٩.

–دليل السوسيولسانيات، فلوريان كولماس، ترجمة: د. خالد الأشهب، ود. ماجدولين النهيبي، المنظمة العربية للترجمة، مركز دارسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ٢٠٠٩.

-دليل مُيسّر إلى الفكر والمعنى، راي جاكندوف، ترجمة: حمزة بن قبلان المزيني، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط ١، عمان، ٢٠١٩.

-سايكولوجية اللغة والمرض العقلي، د. جمعة سيد يوسف، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٤٥، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت،١٩٩٠.

-صحيح البخاري=الجامع المسند الصحيح، محمد لن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ ه) بحاشية السهارنفوري، وحاشية السندي، كراتشي-الباكستان، ٢٠١٦.

- الفلسفة الألمانية، مقدمة قصيرة جدًّا، أندرو بووي، ترجمة: محمد عبد الرحمن سلامة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠١٥.

- الفلسفة، موضوعات مفتاحية، جوليان باجيني، ترجمة: أديب يوسف شيش، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط١، دمشق، سوريا، ٢٠١٠.

-القاموس، إنكليزي – عربي (The dictionary, English-Arabic)، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠٤.

-لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت.

-مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، جفري سامسون، ترجمة: د. محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، السعودية، ١٤١٤ه.

-مدخل إلى الفكر الفلسفي، جوزيف بوخينسكي، ترجمة: د. محمود حمدي زقزوق، دار الفكر العربي، ط ٣، القاهرة، ١٩٩٦.

-مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانيّة المعاصرة وتطور الفكر العلميّ، د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٦، بيروت، ٢٠٠٦.

-معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلاميّ، ط ١، بيروت، ١٩٩٣.

-المعجم الفلسفي، د. مراد وهبة، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، مدينة نصر-القاهرة، ٢٠٠٧.

-المعجم الفلسفي، د. مصطفى حسيبة، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط ١، الأردن-عمان، ٢٠٠٩.

-مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥ ه)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط ٤، دار القلم-دمشق، والدار الشامية -بيروت، ٢٠٠٩.

- مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، دنيس كوش، ترجمة: د. منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.

- موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، المجلد الأول A-G، تعريب: خليل أحمد خليل، بإشراف: أحمد عويدات، منشورات عويدات، ط ٢، بيروت -باريس، ٢٠٠١.